لا نقصد بهِ التفنيد ولا التنديد وانما غرضنا منهُ تنبيه أولئك الكتاب الى وجوب التثبت فيما ينشرون على صفحات جرائدهم ولو كلفهم ذلك اضاعة شيءٍ من الزمن لان الجرائد اليوم بمنزلة مدرسةٍ عامّة يتلقى عنها القرّآء اللغة كما يتلقون الاخبار السياسية والتجارية والفوائد العلمية والادبية وغيرها ولذلك فكل وهمٍ يندر فيها لا يلبث ان يفشو بين جمهور المطالعين وحسبك ان الكتّاب انفسهم كثيراً ما يُستدرَجون بغلطةٍ تبدر من احدهم فلا تبطئ ان تتناولها اقلامهم بغير بحثٍ ولا نكير فما الظن بغيرهم من اصاغر الكتاب وعامة القرّآء . بل طالما كان هذا الامر بعينهِ سبباً في عروض الوهم على خاصّة المتقدمين حتى من اكابر المصنفين والشعرآء مما تقدم لنا التنبيه على بعضهِ فيما كتبناهُ على لغة الجرائد قبل هذه المرّة ولعلنا سنعود الى ذلك في فصلٍ مخصوص نذكر فيهِ ما شذّوا بهِ عن المأثور من كلام العرب مع التنبيه على ما يجب تجنّبهُ من ذلك وما يجوز متابعتهم فيهِ والله وليّ المدد والهادي الى سوآء السبيل

## حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ٩ —

ان الرجل في قارة اوربا وان كان في اواخر القرون المتوسطة باخساً حق المرأة الاّ انهُ كان اقل ظلماً لها واقترآءً عليها من رجل آسيا وافريقيا (خلا الرجل المصريّ القديم) وذلك لان الشرق منبت الشرائع ومهبط

الوحي ومصدر العقائد القديمة والحديثة وكلُّ ما ورد منها حتى ظهور الدين المسيحي كان موافقاً على وجوب قهر المرأة مؤيداً لرأي الرجل من حيث اذلالها والتسوُّد عليها . اما الغرب فلم تتسرَّب اليهِ تلك الشرائع الاّ بعد مرور ازمنةٍ طوال من عهد ظهورها في مواطنها ولذلك كانت الوطأة على هذا المخلوق الضعيف في الغرب أخفَّ منها في الشرق ولا سيما في الشعب الروماني العظيم

لا جرم ان المرأة تجرَّعت كأس حظها الشديد المرارة بصبرٍ جميل الوفاً من السنين على نمطٍ يكاد يكون فوق الطوق الانساني وهي هادئة وادعة تتحمل على عاتقها الواهن نيرين ثقيلين احدهما نير شقآء الحياة الطبيعي والآخر نير استبداد الرجل وتجانفهِ معها عن خطة العدل وهي قائمة بواجباتها الزوجية والوالدية والمنزلية قياماً تُشكر عليهِ بالنظر الى عجزها الادبيّ وفقرها الوجدانيّ اذ ذاك

وعندنا ان الذي هوَّن عليها هذه الحال العسيرة امران احدهما اعتقادها بنفسها مع تقادم الايام وشهادة السنين والتقاليد انها بالحقيقة احطُّ من الرجل ادراكاً ومنزلةً منذ الوضع وان تقييد ارادتها وسلب حريتها والاستيلآء على جسمها وضميرها وصيرورة حركاتها وسكناتها موقوفة على اغراض الرجل كل ذلك محتومٌ من السمآء . لذلك اصبحت تضع نفسها في المنزلة التي انزلها اياها الرجل حاسبةً نفسها مخلوقاً دنيئاً قاصراً اوجدتهُ الطبيعة فوق الحيوان وتحت الانسان وانها خلقت لتكون اداةً للخدمة والاذلال وذريعةً لقضآء لبانات الرجال لا تستحق عدلاً ان تعطى من

حرّية الذات واستقلال الفكر واعظام المنزلة شيئاً ولا يجوز لها ان تتلذّذ بشيءٍ من هذه الحقوق الادبية الاّ في بعض السوانح عند ما يكون للغرام دخلٌ في علائقها القلبية مع الرجل

والامر الثاني ضعفها عن الدفاع وعدم استغنآئها في امور حياتها الكلية والجزئية عن مصاحبة الرجل وطلب حمايتهِ وملازمتهِ من المهد الى اللحد . فضلاً عن انها ترى نفسها مدفوعةً من عواطفها الجنسية المتوقف عليها بقآء النوع الى حبّ ذلك الرفيق الطبيعي حب ممالأةٍ ومصانعةٍ تتطلبها المصلحة الذاتية لا حب نزاهةٍ واخلاص منشأهما الارتضآء والاعجاب بما يبديهِ لها من الوفآء والنَصَفة . فهي من اجل هذا مدفوعةٌ الى احتباس نفسها لخدمتهِ بمفاعيل متضادّة اي بالخوف منهُ ثم الاحتياج اليهِ ثم الحبّ لهُ . بيدَ انها وان اصبحت من هذا الوجه مسلوبة كل سيادة لانها مُستعبَدةٌ في جميع احوالها ومضغوطٌ عليها في جميع شؤونها واطوار حياتها فلقد ابقت لها نواميس الطبيعة العادلة سلاحاً معنوياً طالما استعملتهُ للانتقام من هذا الخصم الظلوم وشفآء حزازاتها منهُ ونعني بهذا السلاح الحبّ السائد على كل ذي حياةٍ يتحرك بالارادة . فان المرأة التي جرّدها الرجل من كل سلطةٍ حتى على فؤادها وارادتها قد انتقم منهُ العدل بان جعلهُ مطبوعاً — وان عاداها — على الانجذاب اليها باميال تزيد وتنقص بحسب مزاج صاحبها واستعدادهِ

فالمرأة ما برحت تنتهز فرصة الانتصار على الرجل حتى اذا شعرت منهُ بغرامٍ حادٍّ دفعهُ الى التولع بها ولوعاً مفرطاً ارتقت في الحال من ادنى

دركات الذل والضعف والضعة الى اسمى درجات التعزز والغطرسة والجبروت فهي مع انزالها اياهُ من قلبها بدافع الميل الجنسيّ في مثل المنزلة التي نزلتها من قلبهِ تترفع عنهُ ترفعاً كبيراً شامخةً بانفها عليهِ بين إعراض يشوق ودلال يشجي — ولا فرق هنا بين ان يكون العاشق ملكاً مخدوماً والمعشوقة مملوكة خادمة او بالعكس — فهو يناديها بمالكة القياد ونزيلة الفؤاد ويناجيها بأرق اساليب التفنن الغزلي والاستعطاف الغرامي ناعتاً اياها باجمل النعوت واسمى الاوصاف حاسباً التفاتها نحوهُ منةً وابتسامها لهُ نعمةً وتمكينهُ من لثم بنانها ـ اذا لم نقل اقدامها ـ رحمةً . وهي تزداد عنهُ إعراضاً وعليهِ تجنياً ولهُ تعذيباً متحكمةً في مالهِ ودمهِ وعواطفهِ تحكم الفراعنة في رقاب العبرانيين بلا شفقة ولا حنوّ . فكأن اميال السلطة التي حُرمتها في سائر احوالها قد اتجهت بمطلق قواها الى استيفاء حقها من هذا الموضوع الوحيد الذي بقي لها دون غيرهِ تعزيةً لفؤادها المتمزق تصبراً على مضض الذل والاضطهاد فتستعمل على غير سابق نيةٍ وعلى خلاف ميلها الجنسي جميع ما لديها من الذرائع لتثبيت عرش سؤددها وتمتين قواعد تحكمها في اكناف القلوب التي تكون قد استولت عليها بفضل الوجد المحرق والهيام القتّال . عندها يستوفي الانتقام حقهُ ويأخذ القهر قسطهُ من التشفّي فتبدي المرأة دلالها وتصلفها وفؤادها يهفو التياعاً ويحنُّ شوقاً وينزع وجداً الى اسيرها المعذّب بحبها المُبتلى بصدودها المشتكي منها اليها وما من رحيم الاّ بعد ان تبلغ الارواح الحناجر ويخاطبها لسان حالهِ بقول الشاعر

سمعنـا أطعنا ثم متنـا فبلّغوا سلامي الى من كان للوصل يمنعُ

ولقد قال سپا احد عظمآء كهنة المصريين وكان كبير سدَنة هيكل منفيس على عهد البطالسة « ان المرأة على ضعفها اقوى المخلوقات فهي الدفة ( السُكّان ) التي تدير سفينة الاعمال البشرية تطرق كل باب وتلبس لكل حالة لبوسها ولها على قلب الرجل اشدّ نفوذ واسمى سلطان تديرهُ وتذهب بهِ حيث شآءت فهي الحاكمة المطلقة في هذه الدنيا ولها التصرُّف في موجوداتها فان الرجل انما يحارب لها ويخوض الغمرات في طلاب المجد من اجلها ويندفع الى الخير والشرّ بسببها ويستقبل الموت بثغرٍ باسم طوعاً لاشارةٍ منها او غمزةٍ من احداقها . فهي ترفعهُ الى الاوج وتهبط بهِ الى الحضيض وتسهرهُ الليالي الطوال وتدفع بهِ الى شدق الاهوال حالة كونها مستويةً على أريكتها لا تتحرك ولا تتعب . وليس في البشر من يقوى على استجلآء اسرار نظراتها وحلّ رموز ابتساماتها والوقوف على سرائر قلبها . وهي فوق كل ذلك كالهوآء الغير المنظور يحيط بالرجل حيث سار وكيف دار فلا يهزأ بسلطتها ولا يستصغر شأنها الاّ كل جاهلٍ مغرور »

أجل فان هذه السلطة السامية وان كانت معنويةً صادرةً عن ارادةٍ ميتةٍ وحريةٍ مقيدة وجنانٍ ضعيف يشخّصها كيانٌ قد ضُرب عليهِ الذلُّ منذ الازل دعوهُ ( المرأة ) فقد طالما اتسع نطاق نفوذها في عالم الحب حتى اتت بنتائج هائلة وغيرت شؤون ملوكٍ وأممٍ ومدن وافراد ونقلتهامن حالٍ الى حال وكانت سبباً لسعادة شعوب وشقآء أخرين وذريعةً لحياة

اقوام وهلاك اقوام . وحسبك شاهداً حديث استير[١] مع احشورش ملك اشور ويهوديت[٢] مع القائد العظيم اليفانا وكليوباترا[٣] آخر ملكات

---

(١) هي امرأة حسناء يهودية كانت في جملة من اجلاهم البابليون عن بلادهم استولت على قلب احشورش الملك فانقذت قومها من القتل بعد ان صدر باباحة دمهم حكم ملكي . وكادت لهامان الوزير الساعي باصدار هذا الحكم كيداً اوجب صلبهُ على خشبةٍ أُعدّت لصلب وليها وقريبها مردخاي وكانت سبباً لقتل الوفٍ من الاشوريين . وقد خُصّ في التوراة سفرٌ لهذه الحادثة يرجع اليهِ من شاء

(٢) هي ارملة اسرائيلية مشهورة بالجمال والبسالة احتالت على اليفانا قائد جيوش نينوى وخدعتهُ متظاهرةً بالانقياد الى حبهِ فاسكرتهُ بثلاث خمور اولاها اللحظ والثانية اللفظ والثالثة المدام حتى اذا نام عمدت الى سكين فاحتزّت بها رأسهُ وفرّت بهِ تحت جنح الليل الى قومها . وبهذه المكيدة خلصت الاسرائيليين من حربٍ مهلكة وحصار شديد

(٣) هي ملكة مصر اشتهرت بجمالٍ باهر ولطفٍ ساحر وميلٍ للرجال عجيب استولت على قلب يوليوس قيصر الرومانيين حتى دلهتهُ ثم هام بحبها انطونيوس احد زعماء مملكة الرومان الثلاثة فاهمل سلطنتهُ وهجر امرأتهُ وترك وطنهُ وعاش على مقربة منها في اسكندرية مفتون اللب مسلوب القرار تتحكم بقلبهِ وروحهِ تحكم الملك القدير بالعبد الكسير فطاب لهُ الذل وهان عليهِ الهوان في سبيل مرضاتها حتى صار جباناً بعد البسالة كسلاً بعد النشاط عاجزاً بعد القدرة . فلما ناصبهُ اوكتافيوس اخو زوجتهِ العداء طمعاً بهِ وانتقاماً منهُ ذهب مع محبوبتهِ في اسطول ليدفعهُ عنهُ على انهُ فرّ قبل ان يحتدم القتال وعاد مكسوراً مدحوراً الى اسكندرية فتبعهُ غريمهُ واصلاهُ ناراً حامية قضت على الحبيبة والمحب بالانتحار وبهذا السبب انقرض ملك البطالسة من مصر ودخلت في عداد مستعمرات الرومان . ولذلك حديث طويل نشرنا ملخصهُ في حاشية ديواننا « سحر هاروت »

مصر من البطالسة مع انطونيوس الروماني وپومپادور [١] مع لويس الخامس عشر وهيلانة [٢] امرأة منيلاس شقيق اغا ممنون مع پاريس بن پريام ولنا من امثال هؤلآء الوفٌ من الشواهد تغنينا التواريخ المبسوطة بين ايدي الناس عن الاتيان عليها فرداً فرداً

---

(١) هي معشوقة لويس الخامس عشر من ملوك البوربون كانت ابنة جزّار خامل ولدت في باريس سنة ١٧٢١ وماتت في ڤرساليا سنة ١٧٦٤ . تزوجت سنة ١٧٤١ بملتزم اعشار ثم رآها الملك اتفاقاً فمال اليها ولم يجاهر بحبها حتى ماتت معشوقتهُ الاولى ( ما دام دوشاتورو ) سنة ١٧٤٤ فهجرت عندئذٍ زوجها وانضمت الى نسآء البلاط فتهتك بها لويس شغفاً وولوعاً واصبح لا يصبر عنها ولو ساعةً فرافقتهُ في حروبهِ ومغازيهِ ولقبها بعد عودتها معهُ من حرب فونتنوا بمركيزة پومپادور واطلق يدها في الاعمال بما لها على قلبهِ من السطوة فكانت تنفذ ارادتها فيهِ وفي فرنسا كما تشآء بلامعارض . فاغنت اهلها وذوي قرباها بما سلبتهُ من اموال الخزينة ووزعت المناصب على غير الاكفآء من محبيها ومعارفها واصبحت تعزل الوزرآء وتستبدلهم بمن تريد وتتداخل في شؤون السياسة والمالية بلا تقيد ولا احتراز . ولما قدح فريدريك الثاني ملك بروسيا في حكومتها نقمت عليهِ وسعت في ابرام محالفة بين فرنسا والنمسا ضدّهُ نشأت عنها حرب السبع سنين المهلكة . ولما حاول داميان اغتيال الملك فرّت من البلاط ثم عادت بعد زمنٍ وعاقبت الوزرآء الذين اشاروا بطردها اشدّ عقوبة . ولقد ظالما تدخلت في انتخاب قواد الجنود فكان ذلك سبباً لفشل الجيش الفرنسوي في اكثر وقائعهِ . على انها مع هذه الصفات الذميمة لا تخلو من حسنات تذكر فقد عضدت العلوم والصنائع ورتبت للشعب اعياداً ومواسم زاهرة وقرّبت منها فريقاً من اعلام الرجال الذين خدموا وطنهم بالسنتهم واقلامهم

(٢) هي بنت بعض ملوك اسبرطة كانت اشهر نسآء عصرها حسناً واقدرهنّ